مؤيّدُ الدّين ابنُ العَلْقَمي
حياتُهُ وما تبقى من أدبِهِ
عرضٌ ودِرَاسَةٌ

أ . د حسين عبد العال اللهيبي
كليّة الفقه / جامعة الكوفة

الملخص

يعدّ مؤيد الدين ابن العلقمي أحد الشخصيات البارزة في القرن السابع الهجري ؛ فقد كان وزيرًا كفؤًا ، وأديبًا فاضلًا ، بل هو من ذوي المواهب المزدوجة ، إذ جمع بين الشعر والكتابة، وعرف بجودة نثرِهِ وشعرِهِ .

وقَد نالت شخصيتُهُ من التَّشويه والقَدح ما لم تنله شخصيةٌ أُخرَى؛ فقد اتُّهم بمهالأة التتار، وأنه كان السبب في سقوط بغداد ، وهي في جملتها تهم لا أصل لها ، وإنَّما هي بفعل التعصُّب المذهبي المقيت الذي اعتمده الدويدار أيبك مقدّم العساكر؛ بِسَبَبِ الخلاف الحاصل بينه وبين الوزير ابن العلقمي ، فأشاع الدويدار في بغداد أن الوزير خامر التتار، وفشت تلك الإشاعة بين الناس فصدّقها من صدّق ، وكذّبها من كذّب . وكانتْ وفاتُهُ سنة ٦٥٦هـ.

الكلمات المفتاحية:
ابن العلقمي ، المستعصم، التتار ، بغداد ، أدب ابن العلقميّ.

Mu'ayad Al - Din Ibn Al – Alqami
His life and what remains of his literature

college of Jurisprudence/University of Kufa
Professor . Dr . Hussein Abdel- Aal Al-Lhaibi

Mu'ayad al - Din Ibn Al –Alqami was considered one of prominent figures of the seventh century Ah ; he was competent minster , and a virtuous man, Rather , he was of dual talents , as he combined poetry writing , he was known for the quality of his prose and poetry.

His personality was distorted and slandered unless another character obtained it . He was accused of cloying the Taters , And that it was the reason for the fall of Baghdad , which are charges that have no basis , Rather, it is the result of the abhorrent sectarian fanaticism adopted by Al –Duwidar Aybak , commander of the army ; Due to the disagreement between him and the minster Ibn Al –Alqami , Al – Duwidar in Baghdad that rumor spread among the people ; so he believed it who believed it , and who fooled it .His death was in the year 656 AH.

key words:

Ibn Al-Alqami, Al-Musta'sim, Al-Tatars, Baghdad, Ibn Al-Alqami's literature.

المقدّمة

مدينة الحلّة مدينة عربية إسلامية ، لها أهمية كبيرة في التاريخ والحضارة ؛ فقد اشْتُهِرَت بنهضتها العمرانية ، وكثرة مساجدها ومدارسها ، وكثرة نتاجها العِلْمِي والفكري ، كما أسفرت عن تأثيراتٍ حضارية واضحة .

أسهمت الحلّة في المجالات الدينية والفكرية والاجتماعية منذ أن مصّرها بنو مزيد سنة ٤٩٥هـ ، وسرعان ما أخذت بالتوسّع ، حتّى صارت من أهمِّ المراكز العلمية؛ لنشر الثقافة العربية والإسلامية ، وأخذت تطلُّ على العالم بإشعاعها الفكري والحضاري ، وترفدُهُ بكلِّ ما هو نافع ومفيد ، كما أصبحت مهوى أفئدة النازحين إليها ، فحظيت بالفضلاء من الأدباء والعلماء ، فما برحت متوَّجةً بأهل الأدب في الحديث والقديم ، مطرَّزةً بالأعلام من فضلاء الشعراء والكُتَّاب والخُطباء .. كان مؤيّد الدين بن العلقمي واحدًا منهم .

كان مؤيّد الدين بن العلقمي وزيرًا كفؤا ، وأديبًا فاضلًا مبدعًا ، وقد ظلّ في عداد الأدباء المغمورين الذين لم تطلهم يد الدراسة والبحث من قريب أو بعيد .. وهذا ما دفعني إلى دراسة أدبه .

وقد جاءت الدراسة في مبحثين ، تضمَّنَ المبحثُ الأول ترجمة لحياة ابن العلقمي ، أمَّا المبحثُ الثاني فقد تَطَرَّقَ إلى ما تَبَقَّى مِن أَدَبِ ابنِ العلقميِّ من نَثرٍ وشعرٍ، وما لهذا الأدب من خصائص فنية .

المبحث الأول

(حياة ابن العلقمي)

اسمُهُ وكنيتُهُ ولقبُهُ :

هـو مؤيّد الديـن محمّد بن أحمد بـن محمّد بن عـلي بن يحيى الأسـدي النيلي الحلي البغدادي الوزير المعروف بابن العلقمي[١] .

والأسـدي نسبة إلى قبيلة بني أسـد ، القبيلة العربية المشهورة ، فهو عربي النسب ، لا غبار عليه .

والنيليّ نسـبةً إلى النِّيلِ ، وهي بُليدة في سواد الكوفة ، قرب حلّة بني مزيد ، يخترقه خليج كبير يختلج من الفرات الكبير[٢] .

والحِلِّي – بكسر الحاء – نسبة إلى مدينة الحِلَّة التي وُلِدَ فيها ونشأ .

والبغدادي نسبة إلى مدينة بغداد التي استوطنها .

أمّـا لقبه الذي اشـتُهِرَ به ، وغلب على اسـمه فهو (ابن العلقمي) نسـبة إلى النهر المسـمّى بالعلقمي الذي حفـره والدُهُ ، على عهد الخليفة النـاصر لدين الله ، وقد برز الأمر السلطاني بحفره ، وسمّي بالقازاني[٣] .. وقد وَرِثَ ولدُهُ مؤيّد الدين هذا اللقب عنه ، واشتهر به ، وكان لا يعرف إلاّ به .

أمّـا كنيتـه فهي أبو طالب ، ولم تُشِر المصادر إلى سـبب هذه الكنية ، ولم تذكر أنّ له ابنًا بهذا الاسـم ، وفي ذلك يقول كمال الدين محمّد بن يوسـف المعروف بابن البُوقي (ت ٦٥٦هـ) ، وقد جمع الاسم واللقب والكنية والمهنة[٤] :

مُؤَيَّـدُ الدّيـن أبُـو طالـبٍ

مُحَمّـدُ بـنُ العَلْقمـيّ الوزيرْ

- أسرتُهُ :

سبقت الإشارة إلى أنّ أصل أسرة مؤيّد الدين بن العلقمي من مدينة النيل الواقعة بين بغداد والكوفة ، وكان أجداده من بيت السؤدد والفضل والتقدم ، وقد تحوّلوا من النيـل إلى الحلة ، وكانوا يختلفون إلى مجالس آل مزيد؛ لما بينهما من القرابة فكلاهما من بني أسـد ، وكانوا موضع ثقتهم ؛ ولعـلّ جدّه رضي الدين محمد بن علي كان أكثرهم حظوةً في دولة آل مزيد[٥] .

أمّا أبوه فهو كمال الدين أحمد بن محمد المعروف بالعلقمي ، الذي مات في الحلّة في حدود سـنة ٦١٠هـ . كان من أعيان قومه عقـلًا وحكمة وعلمًا ، وكان يحظى بمكانة رفيعة عند آل مزيد ، وقد وزّر للأمير علي بن دبيس بن صدقة المزيدي آخر أمراء الحلة من بني مزيد[٦] الذي وافاه الأجل سنة ٥٤٥هـ ، وبموته انقرضت دولة آل مزيد .

وخالُهُ عَضُدُ الدين المبارك بن محمد بن هبة الله بن علي القرشي وَلِيَ أسـتاذية الدار للناصر لدين الله والظاهر لأمر الله ، والمسـتنصر بالله ، وقد وليها سـنة ٦٠٦هـ، سبع عشـرة سنة[٧] ، ولم يزل على ذلك إلى حين وفاته سنة ٦٢٧هـ[٨] .

- مولده ونشأته :

وُلِدَ مؤيّد الدين في شهر ربيع الأول سنة ٥٩١هـ[٩] . وكان مولده في مدينة الحلّة، وبهـا نشـأ وتَثَقَّفَ ، ثمّ فارقها في صباه وهو ابن ثمان سـنين قاصدًا بغـداد ؛ رغبة منه في طلـب العلم وتحصيله والتزوّد منه ، فأقام عنـد خاله عضد الدين المبارك بن محمّد الأسـدي ، وكان شيخ الدولة فضلًا وعلمًا ورئاسة وتجربة ، فتخلّق بأخلاقه ، وتأدّب بآدابه ، واستنابه في ديوان الأبنية ، وشغله بعلم الإنشاء ، فظلّ على ما هو عليه يعمل كاتبًـا في ديوان الإنشـاء ، إلى أن توفي خاله ٦٢٧هـ ، وفي سـنة ٦٢٩هـ تولّى أسـتاذية الدّار، وأسكن في الدار المقابلة لباب الفردوس[١٠] .

وفي سنة ٦٣٠هـ تولّى تولّى الإشراف على بناء المدرسة المستنصرية التي أمر بإنشائها

المستنصر بالله ، وتكامل بناؤها في جمادى الآخرة سنة ٦٣١هـ ، فخلع عليه[١١] .

تـولّى الوزارة بعـد وفاة الوزير أبي الأزهر نصير الدين أحمـد بن محمد بن الناقد في سادس شهر ربيع الأول سنة ٦٤٢هـ[١٢] .

- عقيدته :

لا يختلـف اثنـان على تشـيّع مؤيّد الدين بـن العلقمي ، فقـد كان شـيعيًّا إماميًّا ، صحيح العقيدة صادق الإيمان ، وله في أهل البيت أشعار تدلُّ على صدق ولائه لهم ، وإخلاصه في تشـيّعه ولم تشر مصادر ترجمته إلى تعصّبه في تشـيعه ، وكلّ ما ذكرته عنه «وعنده للرفض إظهار قليل »[١٣] .

سيرتُهُ :

إنّ مـا وصـل إلينا من أخبار مؤيّـد الدِّين بن العلقمي قليلة لا تـكاد تُغَطّي مجمل حياتِـهِ، وكلّ ما نعرفـه عنه أنه ولـد لأسرة عربية كريمة عريقة في النسـب ، معروفة بالسـؤدد والفضـل والتقدم والثـراء .. وقد عرف ابـن العلقمي بدماثـة الأخلاق ، وشرف النفـس، وكـرم الطبع « فالكرم من طرائقه ، والـشرف من خلائقه ، والحلم من طبائعه »[١٤] .

كان يتحسّس بوجدانه وخاطره هموم النّاس ، جاء في كتاب الحوادث : في السابع والعشرين من شوال سنة ٦٤٦هـ ، تواترت الغيوث حتّى امتلأت البواليع، واستجد عوضها وامتلأت أيضًا ، وتعطّل على النّاس معظم أشغالهم ، وكان ذاك عامًا ببغداد، وتُسْـتَر وإربـل والموصل ، وغير ذلـك من البلاد ، ودام حتّى منـع الناس من الزرع، وغرقـت القـرى ، وهُدِّمَـت الـدُّور ، وتجمّر المـاء بدجلـة ، وزادت زيـادةً عظيمة، وأغرقـت بالجانـب الغربي الـدور والدكاكين والمسـاكن والحمامـات ، وتلف بها من الأمتعة والأقمشـة والغلاّت شيءٌ كبير ، ونبع الماء من أسـاس المدرسـة المستنصرية، وامتنع النّاس من الجواز هناك ، وخرج الدويدار الصغير بنفسـه ومماليكه فعمل على

داره حائطًا منع الماء من الخروج والإحاطة بداره وغيرها ، وأمر الخليفة بملازمة القورج[١٥] وإحكامه ، وأطلق من الديوان ذهبًا لإقامة الرجال ، ولزوم العمل ليلًا ونهارًا ، وخرج الوزير في غرّة ذي القعدة مسرعًا قاصدًا للقورج ، وتتابع خروج الناس في أثره ، ونزل عن مركوبه ، وحمل باقة حطب ، وسار إلى آخر القورج ، ونبّه النّاس على المواضع المستضعفة ، ونقص الماء في ذلك اليوم أربع أصابع ، فأنشد الشعراء في ذلك أشعارًا ، فمن جملة من قال في هذا المعنى موفق الدين القاسم ابن أبي الحديد[١٦] :

تَلَقّيْتَ دجلةَ لمّا طَغَتْ
وخافَ البريّةُ من مائها
بوجهٍ يشابهُ وجه السّماءِ
وكفٍّ حكتْ جودَ أنوائها
فلمّا رأتك رأتْ عالمًا
بطبّ المصالح من دائها
فولّتْ حياءً كما تنزوي الـ
ـقبيحةُ من جنب حسنائها

وكان مؤيد الدين الوزير عفيفًا عن أموال الديوان وأموال الرعية متنزهًا مترفعًا ، وبلغ من عفّته ونزاهته أنّ بدر الدين لؤلؤًا صاحب الموصل أهدى إليه هدية تشتمل على كتبٍ وثياب ولطائف قيمتها عشرة آلاف دينار ، فلمّا وصلت إلى الوزير حملها إلى خدمة الخليفة ، وقال : إنّ صاحب الموصل قد أهدى لي هذا واستحييتُ أن أردّه إليه، وقد حملتُهُ إليك ، وأنا أسأل قبوله ، فقبل ، ثمّ إنّه أهدى إلى بدر الدين عوض هديته شيئًا من لطائف بغداد قيمته اثنا عشر ألف دينار ، والتمس منه ألاّ يهدي إليه شيئًا بعد ذلك[١٧] .

ابن العلقمي وسقوط بغداد :

مات المستنصر بالله يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة ٦٤٠هـ ، فاجتمع أرباب الدولة : إقبال الشرابي ، والدويدار الصغير ، واتفقت آراؤهم على تقليد الخلافة ولده عبد الله ، ولقبّوه بالمستعصم بالله[١٨] ، الذي عُرِفَ بالضّعف والتردّد، ونزول الهمّة ، والانغماس في الملذات واللهو ، ولعلّ أغرب ما يمكن أن يستقرّ في ذهن عاقل هو أنّ المستعصم كتب إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يطلبُ منه جماعة من ذوي الطرب ، وفي تلك الحال وصلَ رسول هولاكو إليه يطلبُ منه منجنيقات وآلات الحصار ، فقال بدر الدين : انظُروا إلى المطلوبين ، وابكوا على الإسلام وأهلِهِ[١٩] .

ومهما يكن من أمرٍ فإنّنا لسنا ننكرُ ما أصابَ الدولة العباسية من ضعفٍ واختلال في سائر أحوالها ومؤسساتها السياسية والعسكرية والاقتصادية. فقد كان المستعصم رجلًا ضعيفًا ليست له مؤهلات القيادة ، تنقصه الخبرة والحنكة ، قال ابن الطقطقي (ت٧٢٠هـ) : « كان مستضعف الرأي ضعيف البطش ، قليل الخبرة بالمملكة ، مطموعًا فيه ، غير مهيبٍ في النفوس ، ولا مطلع على حقائق الأمور ، وكان زمانُهُ ينقضي أكثره في سماع الأغاني و التفرج على المساخرة ... وكان اصحابه مستولين عليه ، وكلهم جهال من أراذل العوام »[٢٠] ، وقال ابن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ) : « كان قليل المعرفة بتدبير الملك ، نازل الهمّة ، مهملًا للأمور المهمّة ، محبًّا لجمع الأموال ، يُقْدم على فعل ما يستقبح »[٢١] .. هذه هي صورة الخليفة المستعصم التي رسمها له المؤرّخون .

كان المستعصم يحبُّ جمع المال ، ويستأثر به ، ويسعى دائمًا إلى جمعه وتخزينه ، ولا ينفق منه إلاّ على ملذّاته ، ومجالس أنسه ، وبلغ من حبّه للمال أنه أغلّ الوديعة التي استودعها إياه الناصر داوود بن عيسى ، وكانت قيمتها نحوًا من مئة ألف دينار[٢٢] ؛ فلمّا طلب الناصر وديعته جحدها فتكرّر وفوده إليه وتوسله بالناس في ردّها إليه، فلم

يفد من ذلك شيئًا ، فاستقبح هذا من مثل الخليفة ، وكيف رضيت نفسُهُ بأن يستحوذ على مال غيره[٢٣] .

ومن أغرب ما يمكنُ أنْ يَتَصَوَّرَهُ العقلُ هو ما ذكره رشيد الدين الهمذاني (ت ٧٢٨هـ) : « إن هولاكو بعد ان اقتحم بغداد دخل قصر الخلافة وأشار بإحضار الخليفة المستعصم فلما جيء به إليه ، قال له هولاكو متندرًا : أنت مضيف ونحن الضيوف فهيا احضر ما يليق بنا ، فأحضر الخليفة المستعصم بالله وهو يرتعد من الخوف صناديق المجوهرات والنفائس ، فلم يلتفت اليها هولاكو ، ومنحها للحاضرين وقال للخليفة: إن الأموال التي تملكها على وجه الأرض ظاهرة ، وهي ملك لعبيدنا ، لكن اذكر ما تملكه من الدفائن ما هي ؟ وأين توجد ؟ ، فاعترف الخليفة بوجود حوض مملوء بالذهب في ساحة القصر ، فحفروا الأرض حتى وجدوه ، وكان مليئا بسبائك من الذهب الاحمر تزن الواحدة مئة مثقال »[٢٤] .

والعجب كل العجب أن يكون للمستعصم كلّ هذه الكنوز والأموال ، ثم يبخل بها على جنوده بأرزاقهم ، وهو في أشد الحاجة لهم ؟ . ويؤيّد هذا ما ذكره هولاكو في رسالته التي بعثها إلى حاكم دمشق ينذره بالتسليم ويخوفه من مصير المستعصم: « واستحضرنا خليفتها وسألناه عن كلمات فكذب ، فواقعه الندم ، و استوجب منا العدم ، وكان قد جمع ذخائر نفيسة ، وكانت نفسه خسيسة ، فجمع المال ولم يعبأ بالرجال »[٢٥] .

لقد أدى نهم الخليفة المستعصم بالمال وحرصه عليه إلى أن أهمل أمر الجند ، ومنعهم أرزاقهم ، وأسقط أكثرهم من دساتير ديوان العرض ، فآلت أحوالهم إلى سؤال الناس ، وبذل وجوههم في الطلب في الأسواق والجوامع[٢٦] . فأدّى ذلك إلى إضعاف أحوال الدولة لاسيّما « بعدما أتلف العساكر ؛ لنهمته في جمع المال ،فدُهي الإسلام وأهله بلينه »[٢٧] .

ولم يكن في رجال دولته من هو أكفأُ من وزيره مؤيد الدين بن العلقمي ، فقد كان من الستر والديانة والأدب بمكان ، وفيه يقول ابن الطقطقى « وكان رجلًا فاضلًا كاملًا لبيبًا كريمًا وقورًا ، وكان عفيفًا عن أموال الديوان ، وأموال الرعية ، متنزّهًا مترفّعًا »[٢٨] .

وقال الغسانيُّ (ت ٨٠٣هـ) : « كان عالمًا فاضلًا أديبًا ، دمث الأخلاق ، كريم الطباع ، خيّر النفس ، كارهًا للظلم، خبيرًا بتدبير الملك »[٢٩] .

كان مؤيد الدين بن العلقمي مخلصًا للمستعصم ، صادقًا في ولائه له ، عظيم المنزلة عنده ، بل كان الخليفة يسمع لتوجيهاته ، ويأخذ بآرائه ، وربّما كان أكبر دليلٍ على إخلاصه وتفانيه في عمله ، أنّنا نراهُ يأمر بمهاجمة التتار في سنة ٦٤٧هـ ، حينما عاود التتار هجومهم على بغداد ، واستولوا على خانقين وقتلوا خلقًا من أهلها ، ثمّ تقدَّموا باتجاه بغداد ؛ فخرجت إليهم عساكر المستعصم العباسي بإشارة الوزير مؤيد الدين بن العلقمي ، فاقتتلوا قتالًا شديدًا أسفر عن هزيمة التتار ، وكان الوزير ابن العلقمي يمدُّ قادة الجيش من آرائه وتدبيراته بما ينتهون إليه ، ويقفون عنده[٣٠] .

وفي هذه الوقعة يقول عز الدين بن أبي الحديد المعتزلي ، ويشير إلى حنكة الوزير ابن العلقمي وتدبيره :

أبقى لنا اللّه الوزير وحاطه
بكتائبٍ من نصره ومقانبِ
يا كالئَ الإسلام إذ نزلت به
فرغاء تشهقُ بالنجيع السالبِ
في خطّةٍ بهماء ديموميةٍ
لا يهتدى فيها السُّليكُ اللاحبِ

فرّجــت غمرتهــا بقلــبٍ ثابــتٍ

فــي حملــة ذعــرى وقلــبٍ ثاقــبِ

مــا غبــت ذاك اليــوم عــن تدبيرهــا

كم حاضرٍ يُعصى بســيف الغائبِ[٣١]

لم تــرق هذه الأمــور للدويدار أيبك الصغــير الذي كان كثــير التحامل على مؤيد الديــن بن العلقمي، لما عرف به الدويــدار من تعصُّبِهِ المذهبي المقيت ، فما كان منه إلاّ أن فعل تلك الفعلة الشنيعة في الكرخ سنة ٦٥٤هـ ، وجرى ما جرى على أهل الكرخ من ســفك الدماء ، وانتهاك المحارم ، واســتلاب الأمــوال[٣٢] .. وكانت هذه الحادثة الســبب الرئيس في تفجّر الصراع بين الوزير مؤيد الدين بن العلقمي ومقدّم العساكر الدويدار أيبك .

كان الدويــدار حنبليًّا شــديد المغالاة في مذهبه ، وطبيعي أن يقف معه المســتعصم ويعضده ؛ إذ كان هو الآخر حنبليًّا شديد التعصُّب ، وتحزّب جماعة ضدّ الوزير مؤيد الدين بن العلقمي منهم : أبو بكر ابن المســتعصم ، وشــهاب الدين ســليمان شــاه بن برجم ، وأستاذ دار الخليفة محيي الدين بن يوسف بن أبي الفرج بن الجوزي الذي كان يضمر العداوة لابن العلقمي بسبب تشيُّعه[٣٣] .. مع أنّ مؤيّد الدين بن العلقمي كان معتدلًا في تشــيّعه ، ومما يؤيد هذا قول ابن تغري بردي الأتابكي فيه « وعنده للرفض إظهار قليل »[٣٤] .

ومع هذا كلّه لم يدع ابن العلقمي النصح للمستعصم ، وإسداء المشورة له، ولكنّ المســتعصم كان معرضًا عنه ، لا يقبل مشورته ، ولا يسمعُ له ؛ بسبب المذهبية المقيتة، وخضوعــه وانقيــاده الأعمى للدويــدار أيبك ، وكان إذا حذّره مــن التتار وما فعلوه في بــلاد المشرق من الخــراب والدّمار ، وأنّهم أصبحوا على مقربــة من بغداد ، كان لا يأبــه بكلامــه ولا يكــترث لرأيه ، بل يخادع نفســه بالتّرهات ، ويقــول : « لا يقدرون

التـتر أن يطأوا بسـاطي هذا»[٣٥] .. وتـارة يقول « إنّ بغداد هي تختنـا ولن يدخلوها مـا لم نـأذن لهم»[٣٦] . وتارة أخرى يقول : أنا بغداد تكفيني ، ولا يسـتكثرونها لي ، إذا نزلـت لهم عن باقي البلاد ، ولا أيضًا يهجمون عليّ وأنا بها وهي بيتي ، ودار مقامي، فهذه الخيالات الفاسـدة وأمثالهـا عدلت به عن الصواب ، فأصيـب بمكاره لم تخطر بباله[٣٧] ؛ فكان ذلك سـببًا في اختلال التدبير في عسـكر الخليفة المستعصم ؛ ولمّا رأى ابن العلقمي إعراض الخليفة عنه ، وعدم قبول مشورته ، كان ينشد قائلا[٣٨] :

كيـفَ يُرْجـى الصّلاحُ من أمْـرِ قومٍ
ضَيَّعُـوا الحـزمَ فيـه أيَّ ضَيـاعِ
فمُطـاعُ المقـال غيـرُ سـديدٍ
وسـديدُ المقـال غيـرُ مُطـاعِ

قال ابن الطقطقي : « وفي آخر أيّامه – أيام المستعصم – قويت الأراجيف بوصول عسـكر المغول صحبة السـلطان هولاكو ، فلم يحرّك ذلك منه عزمًا ، ولا نبّه منه همّة، ولا أحدث عنده همًّا ، وكان كلّما سُـمِعَ عن السلطان من الاحتياط والاستعداد شيءٌ ظهر من الخليفة نقيضه من التفريط والإهمال، ولم يكن يتصوّر حقيقة الحال في ذلك. وكان وزيـره مؤيّد الدين بن العلقمي يعرف حقيقـة الحال في ذلك ويكاتبه بالتحذير والتنبيه ، ويشير عليه بالتيقّظ والاحتياط والاستعداد ، وهو لا يزداد إلاّ غفولًا ، وكان خوّاصـه يوهمونه أنّه ليس في هذا كبير خطرٍ، ولا هناك محذور ، وأنّ الوزير إنّما يعظّم هذا لينفُق سُوقه ، ولتبرُز إليه الأموال ليجنّد بها العساكر فيقتطع منها لنفسه»[٣٩].

لقـد قوي جانب الدويـدار الصغير أيبـك ، وضعف جانب الخليفـة ، بل أصبح الخليفـة مغلوبًـا على أمره يتحكّم فيـه الدويدار الصغير كيف ما يشـاء ، لا يخالف له رأيًـا، ولا يرفـض له طلبًا .. أمّا مؤيـد الدّين بن العلقمي فقـد كان « مكفوف اليد ، مردود القول ، يترقب العزل ، والقبض صباح مساء »[٤٠].

وبلغ من ضعف المستعصم وانقياده الأعمى للدويدار ، أنّه كان لا يقبل مشورةً من أحد حتّى « إنّ الشريف محمد بن نصر المعروف بابن الصّلايا العلوي – نائبه في إربل – كان يسير بنفسه إليه ويحذره من التتر ، وهو غافل لا يجدي فيه التحذير، ولا يُوقظه التنبيه لما يريده الله تعالى »[٤١] .

ولمّا رحل هولاكو عن حدود همذان قاصدًا بغداد ، أشار الوزير ابن العلقمي على المستعصم فيما يجب أن يفعله ، وأن لا وجه له غير إرضاء هذا الملك الجبّار ببذل الأموال والهدايا والتحف له ولخوّاصه ، فاقتنع المستعصم بهذا الرأي ، ولكنّ الدويدار الخصم اللدود لابن العلقمي خذل الخليفة وصدّه عن هذا الرأي ، وقال: إنّ الوزير إنّما يدبّر شان نفسه مع التتار ، وهو يروم تسليمنا إليهم فلا نمكّنه ذلك، فأعرض المستعصم عن رأي ابن العلقمي[٤٢] ؛ ولمّا كان الدويدار الصغير خصمًا للوزير فإنَّ أتباعه من سِفْلة المدينة وأوباشها كانوا يذيعون بين الناس أنّ الوزير متفق مع هولاكو، وأنّه يريد نصرته وخذلان الخليفة فقوي هذا الظنّ[٤٣] .

وكان المغول قد أسروا أيبك الحلبي أحد أمراء المستعصم ، فحملوه إلى هولاكو فأمّنه إن تكلّم بالصحيح ، وطيّب قلبه فصار يسير أمام العسكر ويهديهم ، وكتب كتابًا إلى بعض أصحابه يقول لهم : ارحموا ارواحكم واطلبوا الأمان ؛ لأن لا طاقة لكم بهذه الجيوش الكثيفة ، فأجابوه بكتابٍ يقولون فيه : من يكون هولاكو وما قدرته ببيت عباس أمن الله ملكهم ، ولا يفلح من يعاندهم ، ولو أراد هولاكو الصلح لما داس أرض الخليفة ، ولما أفسد فيها ، والآن إن كان يختار المصالحة فليعُدْ إلى همذان، ونحن نتوسّل بالدّويدار ليخضع لأمير المؤمنين متخشّعًا في هذا الأمر لعلّه يعفو عن هفوة هولاكو ، فلمّا عرض أيبك الكتاب على هولاكو ضحك واستدلّ به على غباوتهم[٤٤] .

أرسل هولاكو بايجو نوين ليتوجّه إلى بغداد على طريق حلوان ، وخرج الدويدار

أيبك الصغير من بغداد ونزل بجانب بعقوبا ، ولمّا بلغه أن بايجو نوين بلغ دجلة ونزل بالجانب الغربي ظنّ أنّ هولاكو قد نزل هناك فرحل عن بعقوبا ونزل بإزاء بايجو نوين .. ثمّ بلغ الدويدار أنّ التتار قد توجّهوا نحو الأنبار ، فسار إليهم ، ولقي عسكر سونجاق نوين وكسرهم وهزمهم ، وفي هزيمتهم التقاهم بايجو نوين فردّهم وهجموا جميعًا على عسكر الدويدار فاقتتلوا قتالًا شديدًا ، وانجلت الحرب عن كسرة الدويدار أيبك وقد قتل أكثر عسكره ، ونجا هو في نفرٍ قليل من أصحابه ودخل بغداد مهزومًا[٤٥] .

في ثاني عشر المحرم سنة ٦٥٦هـ وصل هولاكو إلى بغداد في جيشٍ كثيفٍ لا يحصى عدده ، فلمّا رأى أبواب بغداد مغلقة تيقّن من ضعف أهلها فأمر بنصب المنجنيقات بإزاء سور بغداد من جميع الجوانب ، ورتّبوا العرّادات وآلات النفط ، وكان بدء القتال ثاني عشرين المحرّم سنة ٦٥٦هـ ، فلمّا عاين الخليفة المستعصم العجز في نفسه والخذلان من أصحابه ، وأنّ الأمر قد خرج من يده ، استدعى الوزير مؤيّد الدين بن العلقمي وسأله : ما تدبيرُ أمرنا ؟ ، فقال الوزير[٤٦] :

يظنُّونَ أنَّ الأمرَ سَهْلٌ وإنّما
هوَ السَّيفُ حُدَّتْ للقاءِ مَضاربُهْ

ثمّ إنّ المستعصم أمر الوزير مؤيّد الدين بن العلقمي بالخروج إلى لقاء هولاكو؛ لتقرير الصّلح ، فخرج إليه واجتمع به ، ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه ، لتقع المصالحة ، على أن يكون نصف الخراج من أرض العراق له ونصفه للخليفة[٤٧] .

وفي يوم الرابع من صفر سنة ٦٥٦هـ خرج الخليفة المستعصم ، وأمر هولاكو أن تقام الخيام للخليفة وأبنائه وأتباعه ، وأُحضر الخليفة المستعصم بين يدي هولاكو فسأله عن أشياء كثيرة فاضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت[٤٨] .

عاد المستعصم إلى بغداد تحت الحوطة والمصادرة ؛ليحضر من دار الخلافة ما يرضي هولاكو من الذهب والحلي والمصاغ والأشياء النفيسة[٤٩]، وكاد الصُّلح أن يقع لولا أنّ نفرًا من خاصة هولاكو قد أشاروا عليه أن لا يُصالح الخليفة ، وقالوا: متى وقع الصُّلح على المناصفة لا يستمرّ هذا إلاّ عامًا أو عامين ثمّ يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك ، وحسّنوا له قتل الخليفة، فلمّا عاد الخليفة بما يحملُهُ من الأشياء النفيسة؛ لتقرير الصلح أمر هولاكو بقتله ، ونقض ما عاهد عليه نفسه . وكان المستعصم ينظر بعين الحقيقة إلى هلاكه ، وزوال ملكه ، ويتأسّف على تركه الحزم، وإبائه قبول النصح[٥٠].

وفي صباح يوم الاثنين خامس صفر سنة ٦٥٦هـ أمر الطاغية هولاكو باقتحام بغداد ، فاندفع الجند دفعةً واحدة إلى بغداد واستولوا على كلّ ما فيها ، وبذلوا السّيف في أهلها ، وأشاعوا الفوضى والدّمار وعاثوا فيها ، ورافق ذلك عمليات النهب والسلب ، وهجعت بغداد تحت ركام الحرائق والخراب[٥١] .

- وفاتُهُ :

تُوُفِّيَ مؤيّد الدِّين بن العلقميّ يوم الجمعة مستهل جمادى الآخرة سنة ٦٥٦هـ[٥٢]، وعمرُهُ يومئذٍ خمس وخمسون سنة . ودُفِنَ في مشهد الإمام موسى الكاظم عليه السلام[٥٣] .

ولم يشذ عن هذا الرأي إِلَّا الصَّفَدِيّ (ت ٧٦٤هـ) الذي جعل وَفاته في أوائل سنة ٦٥٧هـ[٥٤] .

المبحث الثاني

دراسة في أدب ابن العلقمي

أوّلًا – نثر ابن العلقمي :

كان ابن العلقمي في أوّل أمره كاتبًا للإنشاء ، ثم استنيب في الوزارة ، ويبدو أنّ مكانته وقدراته البلاغية جعلت المستعصم يعتمده ويختاره وزيرًا .

وهو بعد يعدُّ في الذُّروة من كتّاب الإنشاء في العصر العباسي ؛ لبلاغته ، ودقّة تفكيره ، وحسن تأنّيه في كتابة الرسائل .. وقد جارى ما كان شائعًا في عصره من أصول الكتابة الإنشائية ، من العناية بالمحسّنات البديعية ، كالسّجع والاقتباس والتضمين ، والطباق والجناس ، وصار أحد جهابذة الكتاب الذين يرمز لهم بالبنان. قال الأدفوي (ت ٧٤٩هـ) : « وله نثرٌ جيّد ، ونظم حسن »[٥٥] . وقال ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) : « وكانت له يدٌ في صناعة الإنشاء »[٥٦] . وقال ابن كثير : «وكان عنده فضيلة في الإنشاء ، ولديه فضيلة في الأدب»[٥٧] .

إنّ ما وصل إلينا من نثر ابن العلقمي نزرٌ يسير لا يتناسب مع شهرته كاتبًا مترسّلًا بارعًا في كتابة الإنشاء ، وهو دليل على ضياع كثيرٍ من رسائله الديوانية والإخوانية ، فضلًا عن ضياع توقيعاته وتقاليده .

ورسائله – عمومًا – تمتاز بطول الفقرات ، وتناسب طولها ، وانسجام موسيقاها، والحرص على السجع في أواخرها ، ومن جيد رسائله رسالته التي كتبها إلى الخليفة المستعصم بالله حين توفيت ابنته عائشة سنة ٦٤٣ : « ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ . أجزل الله ثواب الخدمة الشريفة المقدسة النبوية الإمامية المستعصمية بالله على احتسابها ، وجزاها أفضل جزاء الصابرين عند جزع النفوس واكتئابها، وأفاء عليها ظلًّا من البقاء ظليلًا ، ورجع طرف الحوادث عن حوزتها الشريفة حسيرا

كليـلًا ، وعوض عمن عبر وذهب بحراسـة غـيره مما وهب ، وجعل السـادة الموالي المعظمين في حوز حياطته ، وكلأهم من كل حادث بعين حفظه التي لا تنام ورعايته ، وأدام للدنيا وأهلها بقاء الخدمة الشـريفة واستمرار عصـرها ، وخلود الدولة الحالية بمضاء مراسمها العلية ونفاذ أمرها :

فـإذا سـلمت فـكلّ شـيءٍ سـالمٌ

وإذا بقيـتَ فـكلّ شـيءٍ باقـي

ولا زال مُلْكها محروسًـا من الغير ، لصون الموارد من الكدر ، ولا أعاد إلى مواطن شرفها حادثًا ، ولا أنزل بمقدس ربعها خطبًا كارثًا »[٥٨] .

ولعلّ في هذا النصّ ما يقوم شاهدًا على بلاغة مؤيد الدين بن العلقمي ، وفصيح لغتـه ، ووضـوح معانيه ، وصفاء أسـلوبه ، كما يعكـس بجلاءٍ طريقتـه البارعة في الكتابة، من حيث تناسـب العبارات في طولها ، كما نلحظ السـجع الطويل في معظم جملها ؛ فضلًا عن الجناس والطباق والاقتباس والتضمين ؛ والعناية بالصور البيانية .. ومـن تلـك الصور قوله (ورجع طرف الحوادث عن حوزتها الشـريفة حسـيرا كليـلًا) . فقد اسـتعار الطرف للحوادث مع أن الحـوادث ليس لها طرف على وجه الحقيقة ، وإنّما من باب التخييل حين شبّه الحوادث بإنسان له عينان يبصر بهما ، على أنّ ألفـاظ هذا النص مقتبسـةٌ من قولـه تعـالى ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ [الملك / ٤] .

ومن بديع رسائله ، رسالته التي بعث بها إلى الخليفة المستعصم بعد تولّيه الوزارة، يقـول :« مَثَلَ المملـوك بخدمة الدّيـوان العزيز ظاهرَ اللهُ تعالى جلاله ، وأسـدل على الإسـلام وأهلـه أورفة ظلاله ، متشـرِّفًا بلثم صعيـده ، والانتظام في سـلك أوليائه المخلصـين وعبيـده ، رافعًا من أدعيته الصالحة ، مُتمسّـكًا من الإمحـاض في العبودية بكلِّ ما يطيل أمد المواظبة عليه ويديمه »[٥٩] .

وتمضي الرسالة على هذا النهج من حسن السبك ، ومتانة التأليف ، وقوّة العبارة، ودقة المعنى ، وهو يعنى بأسجاعه فهي تتقابل وتتوازن مهما طالت ؛ .

وإذا تأمّلنا رسائله – على قلّة ما وصل إلينا منها – نستطيع أن نقف على أهمّ سمات إنشائه ، ومنها : عنايته بالبديع ، وولوعه بالسجع والطباق والجناس ، والميل إلى الترادف والإطناب ، ثمّ قال : « راجيًا أن يوفّقه الله تعالى من الخدمة لما يُقرِّبُهُ زلفى، أخذًا من المبالغة في الطاعة الواجبة ، بالنّصيب الأوفر والقسم الأوفى ، وسيتفرّغ في الخدمة جَهدهُ ، ويتجاوز في المناصحة دُؤوبَ الثاني غاية من لم يقم بما يجب عليه وحده، بتوفيق الله تعالى وإعانته ، وإرشاده إلى سبل الواجبات وهدايته ، وبيُمْن الهمّة العليّة المقدّسة النبوية ، وتثقيف الآراء الشريفة المستعصمية ، زادها الله تعالى شرفًا وجلالًا ، وللآراء المقدّسة المعظّمة النبويّة ، أجلّها اللهُ تعالى في تأمّل خدمته المشتملة على صالح أدعيته من يد الجلال والقدرة إن شاء الله تعالى » .

ومن بديع رسائله رسالته التي بعث بها إلى المستعصم بالله حين أهدى إليه حزمة أقلام « قَبَّل المملوكُ الأرض شكرًا للإنعام عليه بأقلام قلَّمت عنه أظفار الحدثان، وقامت له في حرب صَرْف الدهر مقام عوامل المُرَّان ، وأجنته ثمار الأوطار من أغصانها، وحازت له قَصَبات المفاخر يوم رهانها ، فبالله كم عَقْد ذِمام في عقدها ، وكم بَحْر سعادة أصبح من مِدَادها وَمَدَدِها ، وكم متأود خطٍّ استقام بمثقفاتها ، وكم صوارم خُطوب فَلَّت مضاربَها بمطرور مرهفاتها ، والله تعالى يُنْهض المملوك بمفروض دعائه، ويوفقه للقيام بشكر ما أولاه مولاه من جميل رأيه وجزيل حبائه ، بمحمد وآله :

خوّلتني نعمًا كادتْ تُعيدُ لنا
عصر الشّبابِ وتدني منهُ أيّاما

طالع المملوك بدعائه الصادر عن ناصع ولائه ، والأمر أعلى وأسمى إن شاء الله تعالى»[٦٠] .

وإذا تأمّلنا هذه الرسالة نجد أنّها تتسم بدقة الوصف ، وطول العبارة ، وحسن الإيقاع ، والميل إلى الإطناب والتوازن والطباق والتضمين ؛ فضلًا عمّا زخرت به من صور بيانية حققت قدرًا غير قليل من سحر الخيال وروعته وقوّته .. ومن تلك الصور قوله : (قلمت أظفار الحدثان) ، وقوله : (وكم بحر سعادة أصبح جاريًا) .

ومن خلال النظر في الرسالتين المتقدمتين ونصوص أُخر من نثره نستطيع أن نتعرَّف نثر ابن العلقمي ، و طريقته في الكتابة ؛ فهو ـ في الأعمّ الأغلب ـ يميلُ إلى الإيجاز والوضوح مع غلبة السجع والطباق والمقابلة ، وكثرة الاقتباس، والاستشهاد بأقوال الحكماء ؛ وهو دليل على ثقافة ابن العلقمي ومكانته الأدبية التي تبوّأها بين أدباء عصره .

ثانيًا – شعر ابن العلقمي :

لم تشر المصادر إلى أن مؤيّد الدِّين بن العلقمي ترك ديوان شعر ؛ إِلَّا أَنَّ الثابتَ والمؤكَّد أَنَّهُ تَرَكَ شِعرًا كثيرًا ؛ ولعلّ أفدح ما مُنِيَ به من غبن بعد وفاته هو ضياع كثير من شعره ؛ ولو وصل إلينا شعره كاملًا ؛ لوقفنا على كثيرٍ من الأمور التي من شأنها أن تعطينا فكرة واضحة عن حياة هذا الرجل .

ومع ما تبقّى من شعر ابن العلقمي الذي تسرّب إلينا ، نجد أنّ هذا الشعر يتسمُّ بعمق الحسّ ، وأصالة الشاعرية ، والقدرة الفائقة على إحكام المعاني ، وتنسيق الأفكار ، والتعبير عمّا يجيشُ في صدره من انفعالاتٍ وأحاسيس إنّما هي ترجمة حيَّة لنوازع النفس وخلجاتها ، وما يعتريها من مظاهر السخط والرضا ، والحبِّ والبغض، والفرح والحزن .

ومن خلال ما وصل إلينا من شعره – وهو قليلٌ جدًّا – نستطيع أن نستدلَّ

على أصالة هذا الشعر ، وندرك قيمته الفنية ، ولا بُدَّ أن يكون له شعرٌ أكثر من هذا الذي وصل إلينا ؛ ولكن الأيام عفت عليه ، فضاع مع جملة ما ضاع من شعر غيره ؛ لأسباب طائفية مقيتة ، ما جعل شعره يسقط من أيدي الناس ؛ ولربّما لأسباب تتعلّق بروايته أو بطبيعة نقله .. فقد نقل شعره شفاهًا ، إذ ليس له ديوان مجموع يعتمد عليه في النقل .. وبذلك قد خسرنا سجلًّا مهمًّا ربّما حوى كثيرًا من القضايا والأمور التي تتعلّق بحياة ابن العلقمي ، وطبيعة عصره ومجتمعه .. ومع ذلك فقد بقيت منه بقيّة احتفظت بها كتب التاريخ والأدب .

كان مؤيّد الدين بن العلقمي شاعرًا بارعًا ، نظم في أكثر الفنون المعروفة ، وكان بارعًا في نظمه سواء في وصفه ، أم في غزله ، أم مراثيه ، فله في الغزل بضعة أبيات يظهر في تضاعيفها أنفاس عاشقٍ ولهان ، ملتهب القلب ، قريح الجَفن على نحو ما جاء في قوله[٦١] :

من لم يرَ الوجناتِ أوّل نظرةٍ
والكأسُ مُترعةٌ بكفِّ السّاقي
وتَغازُل الألحاظِ عند فتورها
لم يدرِ كيف مصارع العشاقِ

وقوله[٦٢]:

لقدْ مدَّ الفراقُ إلى جُفُوني
أكفَّ الدَّمعِ فاسْتلبتْ رُقادي
كأنَّ العَين تشربُ من دُمُوعي
فتنبتُ أرضُها شوكَ القَتادِ
أحبُّ القربَ من سكّانِ نجدٍ
وإنْ طابُوا نفوسًا بالبِعادِ

وأخْلصَ في محبّتهم ضميري

وإن لم يعرفوا حقَّ الودادِ

ومديح ابن العلقمي لا يختلفُ عن مديح غيره من شعراء المديح من حيث تداول المعاني ، والاهتمام بشخصية الممدوح ، ولم يتخذه وسيلة للتكسّب والجاه، فقد كان من ذوي اليسار ، يعيش عيشة مترفة ؛ وكلّ ما وصل إلينا من مديحه قد خصّه بالخليفة المستعصم بالله ، ونحسبه من المديح الذي يقال شكرًا على حسن صنيع ، وردًّا على جميل معروف ، ومن ذلك قوله حين أهدى إليه المستعصم بالله حزمة أقلام[٦٣] :

خوّلتني نعمًا كادتْ تُعيدُ لنا

عصرَ الشّبابِ وتدني منهُ أيّاما

لم يبقَ لي أملٌ إلاّ وقد بَلَغَتْ

نفسي أقاصيه بِرًّا وإنعاما

تعطي الأقاليم من لم يُبْدِ مسألةً

جودًا فلا عجبًا أن تُعطَ أقلاما

بالحمدِ والشكر أجريها لدولتكم

والرأيُ يحصدُ من أعدائها الهاما

ويتَّضح من هذه الأبيات حرص ابن العلقمي على إبراز شخصية الخليفة المستعصم الذي غمره بالإحسان والفضل ؛ فيشيد بفضلِهِ وسخائِهِ ، والتنويه بذكره، وحسن أخلاقه .

ومن جميل مديحه قوله في المستعصم بالله أيضًا[٦٤] :

ثراؤكَ موهوبٌ وبرُّكَ كاملٌ

وحظُّكَ مسعودٌ ، وفضلُكَ مُنْجحُ

وفعلُـكَ محمـودٌ ، ورأيُـكَ صالـحُ
ووجْهُـكَ وضّـاحٌ ، وسَـعْيُكَ مصلـحُ
وطبْعُكَ مشـكورٌ ، وعِرْضُكَ سـالمٌ
وجِـدُّكَ منصـورٌ ، وراجيـكَ مفلـحُ

وله بيتان في رثاء حفيده[٦٥] :

بُنـيَّ الـذي أَهْدَتْ يَـدَايَ إلـى الثرى
فيا خيبةَ المُهْدَى ، ويا حَسْـرةَ المُهْدِي
لقـد قـلَّ بـين اللحـدِ والمهـدِ عَهْدُهُ
فلمْ يَنسَ عهـدَ المَهْدِ إذْ ضُمَّ في اللحدِ

إنّـه يصـوِّرُ حزنه وأسـاه لفقد هذا الصبي الـذي لم يزل في المهد يحبـو ، وقد طواهُ الردى في جوف الثرى ؛ فاسـتعرَ قلبُهُ ، وتجرَّع لوعة الأسى ، وألم الفراق ، وقد صوَّرَ ذلك بأسلوبٍ يفيضُ أسًى وحرقة ، ويقطرُ ألمًا وحسرة .

وله في الهجاء أبيات في غاية الروعة ، يتحدّثُ فيها عمّن يكيدُ له ، ويطعنه في الخفاء ، وهو لم يزل يذكره بكلّ خيرٍ[٦٦] :

وقالـوا فـلانٌ في الـورى لك شـاتمٌ
وأنـت لـه بـين الخلائـق تمـدحُ
فقلـتُ : ذروهُ مـا بِـهِ وطباعَـهُ
فـكلُّ إنـاءٍ بالـذي فيـه ينضـحُ
إذا الكلـبُ لا يُؤذيـك عنـد نبيحـهِ
فدعـهُ إلـى يـوم القيامـةِ ينبـحُ

ولعـلَّ أروعَ مـا في هذه الأبيات البيت الأخير ، فهو يعـبِّر فيه عن لوعته ، وعمق

معاناتـه ممن يثلبُهُ وينالُ منه ؛ وهو ما يفتأ يذكره بكلّ خيرٍ ، ومع ذلك فهو لا يعبأ به ، ولا يلتفت إليه ؛ لأنّه كلبٌ خسيس جبان ، كثير النباح .

وله في الشـكوى بيتان يصوّر فيهما حاله بعد فاجعة الكرخ ، وما فعله ابن الخليفة والدويدار الصغير بأهل الكرخ من القتل ، والهتك والنهب[٦٧] :

وزيـرٌ رضـي مـن بأسِـهِ وانتقامِـهِ
بطـيِّ رقـاعٍ حشْـوُها النّظـمُ والنثرُ
كمـا تسـجعُ الورقـاءُ وهـي حمامةٌ
وليـسَ لهـا نَهْـيٌ يُطـاعُ ولا أمـرُ

إنّـه يصفُ حاله بعـد هذه الواقعة المؤلمة وصفًا دقيقًا ، ومؤثرًا يثيرُ أعمقَ الشـجن لأعظـم ما يمكن أنْ يتجـاوبَ معه المتلقي ، فهو يبوح بأنين الشـكوى الذي يعكسُ عمق مأساته ، وما كان يكتمه في نفسه من ألمٍ وقهر ، وحين يعجز عن درء الأذى عن أهل الكرخ وهم أهله تسـكن ثورته إذ ليس له إلاّ أنْ يتجرَّع غصص الدّهر ، وتعتاد نفسه تقبله وتحمّله ، وقد صاغ ذلك بأسلوبٍ رشيق يثير شغف المتلقي .

ثالثًا – الخصائص الفنية لشعر ابن العَلْقميّ :

إنَّ مـا وصل إلينا من شـعر مؤيد الدين بن العلقمـي عبارة عن بيتين أو ثلاثة وإن ترقّى فأربعة ، وأعلى ما بلغه من النظم خمسـة عشر بيتًا ؛ ولعلّ ضياع كثير من شـعره جعلنا نحكم عليه هذا الحكم ، ولعلّ نزوع الشاعر إلى هذا القالب البنائي من النظم يتيـح لـه أن « يفرغ فيه ما يدور في خلده من معنًى خاطر ، لا يحتاج إلى إطالة ، وطول نفس ؛ تبعًا للحدث الذي يمرُّ به ، أو بحسب الموقف الذي يريد أن يسجّله لساعته ، أو يسجل إحساسه قبله »[٦٨] .

وشـعر ابـن العلقمـي – عمومًا – محكـم البناء ، متين العبارة ، يتَّسـم بالسـهولة والوضوح وانسـياب الألفـاظ التي تحمل المعاني الرقيقة . وكثيرًا ما يسـتعينُ بالخيال

على تأليف الصور وإبرازها في حُللٍ زاهيةٍ جذابة تستهوي المتلقي وتدفعه إلى التأمُّل فيها، ومن تلك الصور قوله[٦٩] :

لعلَّ الليلَ ماتَ الصُّبحُ فيه
فلازمَ بعدَهُ لُبْسَ الحدادِ
لقدْ مدَّ الفراقُ إلى جُفُوني
أكفَّ الدَّمعِ فاسْتلبتْ رُقادي

فهذا النصّ يشتمل على عدّة صور مبتكرة ، لم يسبق إليها أحد ، ومن هذه الصور صورة (مات الصبح) ، فقد شبّه الصبح بكائنٍ حيّ من باب الاستعارة المكنية ، بقرينة لبس الحداد ، فالليل داجٍ لا ينبلج عموده ، ولا تتجلّى غياهبه ، وقد أعقب هذه الصورة بصورة أخرى هي (أكف الدمع) ، مع أنّ الدمع ليس له أكف على وجه الحقيقة ، وإنما على سبيل التخييل من باب الاستعارة المكنية ، ثمّ كيف يمدّ الفراق أكف دمعه ؟ ، ولا شكّ أنّه يشبّه الدّمع بإنسان ، أوجع الفراق قلبه ، وقرّح جفونه من شدّة البكاء .

ومن بديع صوره قوله[٧٠] :

من لم يرَ الوجناتِ أوّل نظرةٍ
والكأسُ مُترعةٌ بكفِّ السّاقي
وتَغازُل الألحاظِ عند فتورها
لم يدرِ كيف مصارع العشّاقِ

استعار التغزّل للألحاظ من باب التخييل ، إِذْ شَبَّهَ الألحاظَ بِعَاشِقٍ اشتدَّ به الشَّبَقُ، فالألحاظ عندما تصاب بالفتور تبدو وكأنها تتغازل ، هذه هي الصورة التي أراد ابن العلقمي أن ينقلها إلينا من خلال هذه الاستعارة .

ويجنح أحيانًا إلى التمثيل لبسط المعاني التي يريد الكشف عنها ، ومن ذلك قوله[٧١] :

كأنَّ العيـــنَ تشـــربُ مــن دُمُوعي

فتنبــتُ أرضُهــا شــوكَ القَتــادِ

إنه يعقد تشـبيهًا بين العين – نبع الماء – وبين شـبهٍ له في شـدّة العطش والظَّمأ وهو الأرض ، وهو من التشبيه المقلوب الذي يؤتى به إمعانًا بالمبالغة ، إذ المعتاد في التشبيه أنْ يشـبّه الأرض بالعين لا العكس ، ولكنّ الشـاعر أراد المبالغة في التشبيه ليس إلاّ . وقد جاء هذا التشبيه ملتاثًا بالاستعارة المكنية اذ شبّه العين بإنسان ، والدموع بالنهر .

وحفل شـعرُ مؤيد الدين بن العلقمي بالمحسنات البديعية ، ومن تلك المحسنات الجناس وهو « مجيء حروف ألفاظه من جنسٍ واحد ، ومادة واحدة ، ولا يشترط تماثل جميع الحروف بل يكفي في التماثل ما تقرب به المجانسة »[٧٢] ، ومن ذلك قوله[٧٣] :

وقــد ضلّــتْ كواكبُــهُ فظلّــتْ

حَيــارى مــا لهــا فــي الأفــقِ هــادِي

فقـد جانس بين (ضلَـت) الأولى التي جاءت بمعنى الضلال ، و(ظلّت) الثانية بمعنـى الظلّ، والفرق واضح في دلالة اللفظ على المعنى دلالة تسـتقلّ بها الكلمة عمّا سـواها بـما توحيه من فهم معين خاص بها . وقد أسـبغ هذا الجنـاس على النص نغمًا موسيقيًّا امتزج بقوّة مع دلالة اللفظ الموحية .

ومن الجناس الناقص قوله[٧٤] :

بُنــيَّ الــذي أَهْدَتْ يَــدَايَ إلــى الثرى

فيا خيبةَ المُهْدَى ، ويا حَسْــرةَ المُهْدِي

في هذا النصّ جانسَ ابن العلقمي بين اللفظتين (المُهدى) بضمّ الميم وفتح الدال ، وقصد بها الشـخص الذي تُقدّم إليه الهدية ، وبين (المُهْدي) بضم الميم وكسر الدال، وقصـد بها الشـخص الذي يقدِّم الهدية ، وهـذا التجانس يخلقُ عمقًـا إيقاعيًا موحيًّا يتولّد من توالي الألفاظ المتجانسة فيما بينها .

ومن جناس الاشتقاق قوله[٧٥] :

فـإذا سـلمتَ فـكلُّ شـيءٍ سـالمٌ

وإذا بقيـتَ فـكلّ شـيءٍ باقـي

وقع جناس الاشـتقاق في (سـلمت ، سالم) ، وكلاهما مشـتق من حروف الجنس من أصلٍ واحد ، هو (سـلم) ، وهذا التجانس يزيد من تكثيف موسيقى النص ، كما يخلق نوعًا من الانسـجام بين موسـيقى اللفظتين ومعناهما ، ممَّا يجعله أحسن وقعًا في السمع ، وأكثر علوقًا في الذهن .

ومن طباق الترديد « وهو أن يردَّ آخر الكلام المطابق على أوله »[٧٦] قوله[٧٧] :

يَـرَاعٌ إذا أبْكَيْتَـهُ ضَحـكَ النّـدى

وعَضْبٌ إذا أضْحكتـهُ بكتِ العِدى

ففـي هذا النـص تبدو حلية الطباق واضحـة ، فألفاظ البيت متضـادّة راعى فيها الشاعر التقابل

ومن التضمين وهو « أنْ يُضمَّنَ الشـعر شـيئًا من شعر الغير مع التنبيه عليه وإنْ لم يكن مشهورًا عند البلغاء »[٧٨] قوله وقد ضمّن قول أبي نواس[٧٩] :

فضلُـك فضـلٌ مـا لـه منكـرٌ

ليـس لضـوء الشّـمس مـن منكـرِ

(أنْ يجمـع العالـمَ فـي واحـدٍ

فليـس علـى اللّه بمسـتنكرِ)

فقد ضمّن شعره بيتًا لأبي نواس ، بعد أن قلبه ، فجعل عجزه صدرًا ، وهو :

ليـس علـى اللّه بمسـتنكرِ

أنْ يجمـع العالـمَ فـي واحـدٍ

ومن التضمين أيضًا قوله[٨٠] :

فقلتُ : ذروهُ ما بِهِ وطباعَهُ

فكلٌّ إناءٍ بالذي فيه ينضحُ

فقد ضمّن شعره عجز بيت للحيص بيص ، وهو[٨١] :

فحسبكم هذا التفاوت بيننا

(فكلٌّ إناءٍ بالذي فيه ينضحُ)

ومن السّجع الموازي وهو« أن تتفق اللفظة الآخرة من القرينة مع نظيرها في الوزن والرّوي»[٨٢] ، قوله[٨٣] :

يُطيعُكَ الفلكُ الدوّارُ والقدرُ الـ

ـقهّارُ والملَكُ الجبّارُ ذو الحكمِ

ونكتفي بهذا القدر من شعر مؤيد الدين بن العلقمي للتدليل على شاعريته التي استطاع من خلالها أن يُعبِّرَ عن أَحَاسِيسِهِ ومَشَاعِرِهِ ، وهو ما يعكسُ بصورةٍ جَلِيَّةٍ بلاغتَهُ وصفاءَ أُسلوبه ، ووضوح معانيه ، وتعدّد أغراضه .

الخاتمة

كان مما أظهرته هذه الدراسة من النتائج :

١ – إنَّ الوزير مؤيد الدين بن العلقمي عربي النسب من قبيلة بني أسد ، وأنّ أصله من مدينة الحلّة .

٢ – إنَّ الوزير مؤيد الدين لُقّب بابن العلقمي نسبةً إلى النهر الذي حفره أبوه .

٣ – أظهر البحث أن الوزير مؤيد الدين بن العلقمي كان بريئًا مما أُلْصِقَ به من تهمة التواطؤ مع التتار لإسقاط بغداد .

٤ – أظهر البحث أن الوزير مؤيد الدين بن العلقمي كان أديبًا فاضلًا ، متمكنًا من فنّه ، وأنّه كان أحد البلغاء المنشئين.

٥ – كشف البحث أن شعر الوزير مؤيد الدين بن العلقمي عبارة عن أبيات متناثرة، ومقطوعات قصار قد لا تتعدّى البيتين والثلاثة .

٦ – إنَّ شعر الوزير مؤيد الدين بن العلقمي على قلَّتِهِ كانَ حافلًا بالصور والمعاني .

الهوامش

(١) ينظر في ترجمته: قلائد الجمان: ٧/ ٢٣١-٢٣٢ ، مختصر التاريخ : ٢٧٨، كتاب الحوادث : ٣٦٤ ، تاريخ الإسلام : ١٤/ ٨٤١ ، مسالك الأبصار : ١١/ ١٥٣، العسجد المسبوك : ٦٤٠ الوافي بالوفيات : ١/ ١٨٤ ، فوات الوفيات : ٣/ ٢٥٢ ، عيون التواريخ : ٢٠/ ١٩٣ ، عقد الجمان (عصر سلاطين المماليك) : ١/ ٢٠٢ ، المنهل الصافي: ١١/ ٣١ .

(٢) يُنظر : معجم البلدان : ٨/ ٤٢٥ .

(٣) الفخري في الآداب السلطانية : ٣٣٧ .

(٤) المصدر نفسه : ٣٣٧ .

(٥) مجمع الآداب : ١/ ٣٢٤ .

(٦) المصدر نفسه : ٤/ ١١٥ .

(٧) العسجد المسبوك : ٤١ .

(٨) مجمع الآداب : ١/ ٤١٥ .

(٩) قلائد الجمان : ٧/ ٢٣١ ، الوافي بالوفيات : ١/ ١٨٥ ، المنهل الصافي : ١١/ ٣١ ، إنباء الأمراء : ٩٤ .

(١٠) الحوادث : ٥٧ .

(١١) المصدر نفسه : ٨١ .

(١٢) مختصر التاريخ : ٢٧٧-٢٧٨ .

(١٣) ينظر : الوافي بالوفيات : ١/ ١٨٤ ، المنهل الصافي : ١١/ ٣١ .

(١٤) نضرة الإغريض : ٤٦٢ .

(١٥) القورج : نهر في الجانب الشرقي من بغداد بين القاطول وبغداد .

(١٦) ديوانه ٤٢ .

(١٧) الفخري في الآداب السلطانية : ٣٣٨ .

(١٨) ذيل مرآة الزمان : ١/ ٢٥٥ ، تاريخ الإسلام : ١٤/ ٣٣١ .

(١٩) الفخري في الآداب السلطانية : ٤٧ .

(٢٠) المصدر نفسه : ٣٣٣ .

(٢١) النجوم الزاهرة : ٧/ ٦٠ .

(٢٢) ينظر : عقد الجمان (العصر المملوكي): ١/ ٢٠٦ .

(٢٣) ينظر عن خبر الوديعة : تاريخ الإسلام: ١٤/ ٨١٠-٨١١، البداية والنهاية: ١٣/ ٢٠٦ .

(٢٤) ينظر : جامع التواريخ : م٢/ ٢٩٢ .

(٢٥) السلوك : ١/ ٥٠٦ .

(٢٦) الحوادث : ٣٥٠ ، عيون التواريخ : ٢٠/ ١٢٩ .

(٢٧) السلوك : ٣/ ٤١٢ .

(٢٨) الفخري في الآداب السلطانية : ٣٣٧-٣٣٨ .

(٢٩) العسجد المسبوك : ٦٤٠ .

(٣٠) شرح نهج البلاغة : ٨/ ٢٤٠ .

(٣١) المصدر نفسه : ٨/ ٢٤٢ .

(٣٢) ينظر عن حادثة الكرخ : كتاب

الحوادث : ٣٣١ .

(٣٣) عقد الجمان (العصر المملوكي) : ١/ ١٧٣ .

(٣٤) المنهل الصافي : ١١/ ٣١ .

(٣٥) تاريخ مجموع النوادر : ٨٠-٨١ .

(٣٦) تاريخ الزمان : ٢٨٩ .

(٣٧) ينظر : تاريخ مختصر الدول : ٤٤٦ .

(٣٨) الفخري في الآداب السلطانية : ٤٧ .

(٣٩) المصدر نفسه : ٣٣٤-٣٣٥ .

(٤٠) المصدر نفسه : ٣٣٣ .

(٤١) عيون التواريخ : ٢٠/ ١٣٢ .

(٤٢) ينظر : تاريخ مختصر الدول : ٢٣٥ ، البداية والنهاية : ١٣/ ٢٠٢ .

(٤٣) ينظر : جامع التواريخ : م٢،ج١/ ٢٧٤.

(٤٤) ينظر : تاريخ مختصر الدول : ٢٣٥ .

(٤٥) المصدر نفسه : ٢٣٦ .

(٤٦) ينظر : جامع التواريخ : م٢،ج ١/ ٢٩٠.

(٤٧) ينظر : عقد الجمان (العصر المملوكي): ١/ ١٧٣ .

(٤٨) ينظر : البداية والنهاية : ١٣/ ٢٠٢ ،

(٤٩) ينظر : الحوادث : ٣٥٧ .

(٥٠) ينظر : جامع التواريخ : م٢،ج ١/ ٢٩١.

(٥١) ينظر : تاريخ مختصر الدول : ٣٣٥-٣٣٦ ، جامع التواريخ : م٢، ج١/ ٢٨٧-٢٩٠ ، كتاب الحوادث : ٣٥٩-٣٦٠ ، كنز الدرر : ٨/ ٣٤-٣٦ ، عيون التواريخ : ٢٠/ ١٢٩ .

(٥٢) ينظر : مسالك الأبصار : ١١/ ١٥٧ .

(٥٣) ينظر : الحوادث : ٣٦٤ .

(٥٤) ينظر : الوافي بالوفيات : ١/ ١٨٥ .

(٥٥) البدر السافر : ٢/ ٩٤٤ .

(٥٦) مسالك : ١١/ ١٥٥ .

(٥٧) البداية والنهاية : ١٣/ ٢٠٥ .

(٥٨) الحوادث : ٢٤٧-٢٤٨ .

(٥٩) الحوادث : ٢٢٤-٢٢٥ .

(٦٠) مسالك الأمصار : ١١/ ١٥٦ .

(٦١) المصدر نفسه: ١١/ ١٥٧ .

(٦٢) الدرّ الفريد : ٢/ ١٧٢-١٧٣ .

(٦٣) الحوادث : ٢٩٤ .

(٦٤) أنوار الربيع : ٣/ ١٤٩ .

(٦٥) الحوادث : ١٧٨ .

(٦٦) تذكرة ابن معصوم : ٢٥٢ .

(٦٧) زبدة الفكرة : ٤٠ ، وتاريخ الإسلام : ١٤/ ٨٤٢ .

(٦٨) الأدب في العصر المملوكي : ٩٢ .

(٦٩) الدرّ الفريد : ٢/ ١٧٢ .

(٧٠) مسالك الأبصار : ١١/ ١٥٧ .

(٧١) الدرّ الفريد : ٢/ ١٧٣ .

(٧٢) جنان الجناس : ٢٦ .

(٧٣) البدر السافر : ٢/ ٩٤٤ .

(٧٤) الحوادث : ١٧٨.

(٧٥) المصدر نفسه : ٢٤٨ .

(٧٦) حسن التوسل : ٢٠٢.

(٧٧) البدر السافر : ٢/ ٩٤ .

(٧٨) الإيضاح : ٢/ ٥٨٠.

(٧٩) الدرّ الفريد : ٢/ ١٧٢.

(٨٠) تذكرة ابن معصوم : ٢٥٢.

(٨١) ديوان الأمير شهاب الدين الحيص بيص : ٣/ ٤٠٤ .

(٨٢) خزانة الأدب : ٤/ ٢٧٨.

(٨٣) قلائد الجمان : ٧/ ٢٣٢.

المصادرُ والمراجعُ

- الأدب في العصر المملوكي : د . محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، ٢٠٠٧م .
- إنباء الأمراء بأنباء الوزراء : شمس الدين محمد بن علي بن طولون الصالحي (ت ٩٥٢هـ) ، تحقيق : مهنّا حمد المهنّا ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .
- أنوار الربيع في أنواع البديع : صدر الدين علي بن أحمد بن معصوم المدني (ت ١١١٢هـ)، تحقيق : شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ط١ ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.
- أنيس المسافر وجليس الخاطر (كشكول البحراني) : للشيخ يوسف بن أحمد الدرازي البحراني (ت ١١٨٦هـ) ، دار المحجّة البيضاء ، ط١ ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .
- الإيضاح في علوم البلاغة : جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .
- البداية والنهاية : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ) ، تحقيق : د . أحمد أبو ملحم وآخرون ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .
- البدر السافر عن أنس المسافر : كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق : د . قاسم السامرائي ، مركز الدراسات والأبحاث ، الرباط ، ط١ ، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م .
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق : د . بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م .
- تاريخ الزمان : أبو الفرج غريغوريوس بن هارون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري (ت ٦٨٥هـ) ، نقله إلى العربية إسحاق أرملة، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٦م .
- تاريخ مجموع النوادر مما جرى للأوائل والأواخر : شهاب الدين قرطاي العزي الخزنداري (ت ٧٠٨هـ) ، تحقيق : هورست هاين ومحمد الحجيري ، مطبعة درغام ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .
- تاريخ مختصر الدول : أبو الفرج غريغوريوس بن هارون الطبيب الملطي ابن العبري (ت ٦٨٥هـ) ، تصحيح الأب أنطوان صالحاني اليسوعي ، دار الرائد اللبناني ، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
- التذكرة : صدر الدين علي بن أحمد بن

محمّد الحسيني المعروف بابن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ) ، تحقيق : محمد كاظم المحمودي ، مطبعة طه ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٣٦هـ .

– ديوان موفق الدين القاسم بن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ) جمع وتحقيق ودراسة: د. عباس هاني الجراخ، دار تموز، دمش ،٢٠١٤م.

– جامع التواريخ : رشيد الدين فضل الله الهمذاني (ت ٧١٨هـ) ، نقله الى العربية : محمد صادق نشأت ، وفؤاد عبد المعطي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٦٠م .

– جنان الجناس في علم البديع : صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: سمير حسين حلبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

– حسن التوسل إلى صناعة الترسل : أبو الثناء شهاب الدين محمود بن سليمان بن فهد الحلبي (ت ٧٢٥هـ) ، تحقيق : أكرم عثمان يوسف ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ١٩٨٠م .

– كتاب الحوادث لمؤلّف مجهول (من القرن الثامن الهجري) ، تحقيق : د . عماد عبد السلام رؤوف ، د . بشار عوّاد معروف ، مطبعة شريعت قم ، ١٣٨٣هـ .

– الدّرُّ الفريد وبيت القصيد : محمد بن أيدمر المستعصمي (ت ٧١٠هـ) ، تحقيق : د. كامل سلمان الجبوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١ ، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م .

– ديوان الأمير شهاب الدين أبي الفوارس سعد بن محمد التميمي المعروف بحيص بيص ، تحقيق : مكي السيد جاسم ، وشاكر هادي شكر ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .

– ذيل مرآة الزمان : قطب الدين موسى بن محمد اليونيني (٧٢٦هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الدكن ، الهند ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م .

– زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة : ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري الدواداري (ت ٧٢٥هـ) ، تحقيق : دونالد س . ريتشاردز، مطبعة مؤسسة حسيب درغام ، بيروت ، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

– السلوك لمعرفة دول الملوك : تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ) ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧ .

– شرح نهج البلاغة : عز الدين هبة الله بن عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني (ت ٦٥٦هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

– العباب الزاخر واللباب الفاخر: رضي الدين الحسن بن محمّد بن الحسن الصاغاني (ت ٦٥٠هـ) ، تحقيق : د . فير محمد حسن ،

مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ط١ ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك : الملك الأشرف إسماعيل بن العباس الغسّاني (٨٠٣هـ) ، تحقيق : شاكر محمود عبد المنعم ، دار التراث الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان : بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (ت٨٥٥هـ)، تحقيق : د . محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- عيون التواريخ : محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) ، تحقيق : د . نبيلة عبد المنعم داود، ود. فيصل السامر ، دار الحرية ، بغداد، ١٩٨٤م .

- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية : محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت ٧٠٩هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٠هـ .

- فوات الوفيات والذيل عليها : محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) تحقيق : د . إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، ١٩٧٤م.

- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان: كمال الدين المبارك بن أحمد بن الشعار(ت ٦٥٤هـ) تحقيق : كامل سلمان الجبوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

- كنز الدرر وجامع الغرر (الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب) : أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري (ت ٧٣٦هـ) ، تحقيق : د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م .

- مجمع الآداب في معجم الألقاب : كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن الفوطي الشيباني (ت ٧٢٣هـ) ، تحقيق : محمد الكاظم ، ط١ ، طبع بمطابع وزارة الثقافة والإرشاد الإيرانية ، طهران ، ١٤١٦هـ .

- مختصر التاريخ : ظهير الدين علي بن محمد البغدادي المعروف بابن الكازروني (ت ٦٩٧هـ) ، تحقيق : د . مصطفى جواد ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .

- المستطرف من كلِّ فنٍّ مُستظرف : شهاب الدين محمد بن أحمد بن أبي الفتح الأبشيهي (ت ٨٥٠هـ) ، تحقيق : د . يحيى مراد ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م .

- معجم البلدان : شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (د . ت) .

- الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر : رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني (ت ٦٦٤هـ) ، منشورات

الرضي ، قم ، ط٥ ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي : جمال الدين يوسف بن تغري بردى الأتابكي (ت ٨٧٤هـ) ، تحقيق : د . محمد محمد أمين ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة، ١٩٩٩م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ)، قدّم له وعلّق عليه : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١ ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
- نضرة الإغريض في نصرة القريض : المظفّر ابن الفضل العلوي (ت ٦٥٦هـ) ، تحقيق : د. نهى عارف الحسن ، مطبعة طربين ، دمشق ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .
- نهاية الأرب في فنون الأدب : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ)، تحقيق : د . يوسف الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- الوافي بالوفيات : خليل بن أيبك الصفدي (ت : ٧٦٤هـ) تحقيق: أبو عبد الله جلال الأسيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ٢٠١٠ م .